القيم العائلية في المصادر التراثية وأثر التطور الحضاري

Family Values in the Traditional Sources and The Impact of Civilizational Development

Nilai-Nilai Kekeluargaan dalam Sumber-Sumber Tradisional dan Kesannya Terhadap Pembangunan Peradaban

أنطوان ج. عبدو*

ملخص البحث:

قليلا ما يلتفت الباحثون في قضايا الأدب وعلاقته بالحياة الى القيم الأساسية الفردية والعائلية (الأسرية) التي يختزنها التراث الحضاري في ما يحمله من رصيد ثقافي وأخلاقي وديني يسهم في إضاءة تفكير الناس وبناء مُثُلهم وتوجهاتهم الإنسانية. وقد يواجه ذلك الجهد صعوبات مبرّرة خصوصاً في ما تستوجبه المقاربة، المفيدة قطعاً، بين الدراسة الأدبية وعلم الاجتماع، والعلوم الإنسانية عموماً، فإيجاد طريق للمداخلة البحثية المنهجية بينها ليست سلسة؛ لذا تحاول هذه الدراسة أن تقارب هذا الميدان انطلاقاً من الرغبة في عدم الاكتفاء بما ورد في ديوان الشعر العربي والتراث القديم من قيم الكرم والفروسية والنجدة، وما يتصل بها من صيغ مستعادة، فلا بد من العودة الى الموارد التراثية الغنية لدرسها واستكشاف عناصر الثبات والتغّير التي واجهتها هذه القيم الفردية والأسرية، خصوصاً بعد ظهور الإسلام وما أحدثه في المفاهيم الدينية الجديدة وفي الفروض والعقائد والسلوكيات، وما أحدثه بعد الفتوحات وتعايش الحضارات والشعوب فى العواصم المختلفة. وقد أدخلت هذه النهضة معطيات ثقافية وحضارية رفدت تلك الأسس بمفاهيم وعادات جديدة شخصية وعائلية واجتماعية حركت مظاهر التفكير والحياة والسلوك والتعبير الأدبي والفني، مما لا نزال نشهد تطوراته السوسيولوجية إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: القيم التراثية– العائلة– المؤثرات الحضارية– الثبات والتغيّر– العصر الحديث.

* أستاذ بروفيسور في الجامعة اللبنانية الأمريكية–بيروت، بيبلوس لبنان.

Abstract:
It is rare for scholars in the issues of literature and its relation to life to direct their attention to the basic individual and family values that civilizational tradition preserved in its cultural, ethical and religious content that helped to contribute to enlighten human thought and produce the exemplary figures as well as their humanitarian directions. Such effort often met with difficulties that are justifiable especially in matters that needed the beneficial approach between Sociology, literary studies and Human Sciences in general. To find a middle and convenient way for a methodological research intervention between them is no easy task. This study is an effort to approach this field from the interest in the insufficiency of what came in the anthology of Arabic poems and the classical tradition concerning the values of generosity, knighthood and aid on one hand, and what relates to them concerning their newly recovered form, on the other. Returning to the ancient and wealthy sources is significant in order to study and discover the elements of stability and changes that faced these individual and kinship values particularly after the emergence of Islam as it brought new understanding to the concept of religion in relation to the obligatory acts, belief and behavior. In addition to that the values went through new understanding with the expansion of the Muslim Empire and the coexistence of different nations and tribes in it cities. This new renaissance had given new cultural and civilizational input to those values imparting them with new concepts and traditions related to individual, kinship and social aspects that subsequently influenced the characteristics of thoughts, life and behavior on one hand, and literary and artistic expression on the other; a consequence of which we are witnessing its social development until today.

Keywords: Traditional values– Kinship– Civilizational influences– Stability and change– Modern era.

Abstrak:
Para sarjana yang mengkaji isu-isu kesusasteraan dan hubungannya dengan kehidupan dilihat kurang memberi perhatian terhadap nilai-nilai teras individu dan keluarga, walaupun ia merupakan tradisi peradaban yang memelihara budaya, etika dan agama. Tradisi ini bukan sahaja dapat menjelaskan kekaburan pemikiran, malah membantu melahirkan modal insan, di samping menjadi penunjuk kepada arah laluan seseorang insan. Hal ini mungkin disebabkan oleh kesukaran yang dihadapi oleh mereka dalam mencari pendekatan sesuai yang dapat menggabungkan kajian kesusasteraan dengan ilmu sosiologi dan ilmu kemanusiaan secara umum. Walau bagaimanapun, langkah dan inisiatif menggabungjalinkan kedua-dua bidang ini bukanlah suatu yang mudah. Oleh yang demikian, makalah ini cuba untuk mendekati isu ini yang bertitik tolak daripada kekurangan kajian yang memfokuskan kepada nilai-nilai murni yang terdapat dalam antologi puisi Arab tradisional dan klasik, antaranya ialah kemurahan hati, kepahlawanan,

bantuan serta pertolongan. Hal ini sangat penting kerana usaha untuk mengkaji dan merujuk kembali sumber-sumber warisan dan tradisional yang kaya dengan nilai-nilai murni ini dapat mendedahkan unsur-unsur kestabilan, keharmonian dan perubahan-perubahan yang dihadapi oleh individu dan kekeluargaan, terutamanya selepas kedatangan Islam yang membawa nilai dan konsep baru dalam agama khususnya yang melibatkan perkara-perkara wajib, kepercayaan dan tingkah laku. Begitu juga setelah Islam berkembang dan tersebar di seluruh dunia, ia membawa nilai-nilai murni dan adab-adab luhur. Pembaharuan ini telah memberikan input dan konsep baru dalam nilai-nilai kebudayaan dan ketamadunan yang melibatkan individu, kekeluargaan dan masyarakat. Keadaan ini bukan sahaja telah mempengaruhi pemikiran, kehidupan dan tingkah laku, tetapi juga telah memberi kesan terhadap kesusasteraan dan artistik, yang mana kita masih lihat perkembangan sosiologinya hingga ke hari ini.

Kata kunci: Nilai-nilai tradisional- Kekeluargaan- Pengaruh kebudayaan- Kestabilan dan perubahan- Era moden.

مقدمة:

لا بد من أن ننطلق في دراستنا هذه من ظروف حياة العربي الأولى في عصور البداوة التي تفيدنا بمعلومات عن طباع العربي وعاداته وتقاليده وعناصر ثقافته الأساسية التي بنت عليها أو تجاوزتها تطورات الحياة والتمدن خصوصاً بعد التحول الكبير الذي أحدثه الإسلام، وما أتاحه للعربي بعد الفتوحات والاحتكاك بالحضارات الجديدة من أَمارات التطور في عاداته وظروف حياته المادية والمعنوية.[١]

ومن المعروف أن حياة هذا البدوي كانت تقوم أصلاً على الترحال والتجوّل في الفيافي الواسعة بحثاً عن الماء والعشب. وهو بنية جسدية مشدودة من العضلات والعظام والأعصاب، يشبه الأرض في جفافها، وهي التي منحته قدرات العيش فيها كالصبر والتقشف والشجاعة والتحمّل والتكيّف المضني. لكنه كان مع ذلك لا يميل الى التغيير، بل إلى أن يعيش مثل أجداده محصّنًا في البادية ضد الغزوات المادية والمعنوية، وهو يعتمد على تربية الماشية والصيد، وهما عنده ما يستحق أن يعيش من أجله في رحاب البادية الرحبة والقاسية؛ لذا فهو ينفر من الزراعة والصناعات والحِرف، ولا يتعاطى التجارة إلا في حدود الحاجة والضرورة الاقتصادية التي لا مهرب منها. والبادية حارسة كيانه وتقاليده ولغته، وهو يتعلق بقيم البساطة والاعتزاز بالنفس وبأن أهل البادية أحسن الجماعات مكانة وعراقة وكرامة وفخرًا وهم كذلك أسعد وأفضل من أهل المدن. وهو يؤْثر الاحتمال والشقاء والعطش والعيش في إطار الرمال والنخيل والجمال والماشية والواحات، على أن يخضع

لمشيئة أجنبي. والمواطن الحضرية مثل: مكة، ومملكتا الغساسنة والمناذرة، وممالك الجنوب، لم تذهب عن هذه القيم الأساسية بعيداً.

ويقوم النظام الاجتماعي الأساسي في هذه البيئة على العشيرة، وهي تتألف من وحدات أو أسر ممتدة تتمثّل كل واحدة منها في خيمة هي منزلها. وهي تعيش في "حيّ" تجتمع فيه مضارب خيامهم. ويسمى أعضاء الحي "القوم" وتتألف القبائل الكبرى من أقوام يرتبطون بالدم والنسب، ولفظة أسرة أو عائلة كمصطلح لم تكن ظاهرة أو مستخدمة ولم تظهر حتى في القرآن الكريم. فالمصطلح المستخدم هو (آل) فلان و"أهله" وربعه.[٢] وهي إجمالاً عائلة ممتدة تسكن خيمة وأكثر، ذات أثاث بسيط، وهي نطاق حرمة ربّ الأسرة الذي لا يجوز التعدي عليه. أما الأرض الصالحة والمراعي والمياه فهي المجال الحيوي للقبيلة ككل، تحفظها وتدافع عنها وتتآزر من أجل ذلك فهي نطاق عيشها وكرامتها.

وتسمى القبيلة غالباً باسم جدّ أول فيقال بنو قيس وبنو شيبان... إلخ، وكانت التقاليد القبلية الساميّة متشابهة في هذه. وتعود بنا ملامح التاريخ الى أسماء قبائل مؤنثة أحياناً.[٣]

وتعتمد القبيلة نظاماً سياسياً يقوم على طاعة رئيس يسمّى "الشيخ" يكون عادة أكبر الرجال سناً، ويجب أن يتميّز بالخُلُق والحِلْم والقدرة والحكمة، وتعتمد قيادته كذلك على نظام الشورى فيجلس إليه كبارهم وزعماء "البطون والأفخاذ" أي الجماعات الوسطى التي تتألّف منهم القبيلة.[٤]

وقد تدفع المخاوف أو المصالح الى اجتماع عدد أكبر من القبائل التي تتفاهم وتتضامن في الدفاع عن الجماعة والحياض، وقد اتسعت بعض التحالفات حتى ألّفت "ممالك"، مثل: كندة، وقيس، والغساسنة.

والعصبية هي التي تحفظ الجماعة وتؤمّن التلاحم بين عناصر العشيرة. وهي تعني الكفاح من أجل البقاء الذي يفرض نظاماً من القيم ذات البعد الحيوي والاقتصادي في بيئة صعبة محدودة الموارد، فالعصبية تستوجب التضامن والقوة والغزو والثأر، وهي لحفظ الجماعة لتثبت في النزاعات وتدافع عن مجالها الحيوي، تبعاً لظروف المعيشة. والبدوي يفتخر معنويًا بقيم الشجاعة والفروسية والتعفّف في حفظ الجار والوفاء بالأهل، وهو يفتخر كذلك ببعض المقتنيات المادية كسيفه وحصانه، ويُمدح من اجتمعت فيه هذه القيم فهو السيّد أو الفتى أو الكامل، وتجمع هذه الصفات جميعاً صفة "المروءة".[٥]

والعربي يطرب للشعر ويعشق اللغة والفصاحة والحكمة فهي تحرك مشاعره وتستولي على وجدانه حتى اعتبر الشاعر كائنًا يُوحى إليه. وحبّ البدوي للشعر كان الظاهرة الوحيدة في حياته الثقافية حيث تتفتّق مواهبه، وقد قيل: (جمال المرء في فصاحة لسانه). وهو يعشق المفاخرة بنفسه ومكانته وقبيلته وفروسيته كما

يعشق الغزل والمرأة والخمرة وما تتيحه له الدنيا من مسّرات ويعتبر الحياة عابرة. وها هو طرفة بن العبد ينشد في معلقته:

فلــولا ثــلاث هــنّ مــن لــذّة الفــتى وجــدّك، لم أحفــل مــتى قــام عُــوّدي
فمــنهنّ ســبقي العــاذلات بشــربة كُميــت، مــتى مــا تعــلَ بالمــاء تزبــد
وكــرّي ، اذا نــادى المضــاف محنّبــا كســيد الغضــا، نبّهتــه، المتــورّد
وتقصــيرُ يــوم الــدّجنِ، والــدجن معجــبٌ ببهكنــة تحــت الخبــاء المعمّــد
أرى العــيش كنــزاً ناقصــاً كــل ليلــة ومــا تــنقص الأيــامُ والــدّهر ينفــدِ[٦]

وقد اجتمعت ظروفه وطبيعة حياته وموروثاته لتكوّن عقليته وقيمه التي بقي الحسن منها حيّاً لأنه إنساني. ولعلها حتّمت عليه جملة من الخلقيات والتقاليد التي تبدو وكأنها تجمع بين النقائض: فهو يتعلق بفرديته التي لم تساعده، قبل الإسلام، في تطوير الحسّ الاجتماعي العام وتنمية مُثل حضارية عليا تؤدي به إلى تحسّس الانتماء إلى جماعة واسعة، إلى موطن أو أمة، وتكوين نظام أو قانون عام، لكنه يخضع في الوقت نفسه لمصلحة القبيلة ودعوتها حين تحتاج إليه، دون أن يصل به هذا السلوك إلى مفهوم سياسي مدني شامل.[٧]

ومن مظاهر تلك الحياة الاجتماعية السلوكية كذلك الغزو، وهو من عناصر وجود البدوي الاقتصادية المهمة التي قد تشجّع الإباحة وتجاوز قيم الحفاظ على الناس وحرمة أحيائهم وأموالهم، وهو ما يقدّسه لنفسه. وقد ولّدت هذه العادة صفات نفسية وجسدية أخرى ترافقها كحبّ الصراع والقتال والشجاعة والاعتزاز بالقوة والفتوّة والرجولة والنجدة والفروسية، فلم يرتدع عنها أحد من القبائل القديمة. وقد تغزو القبيلة إذا اقتدرت وتخشى الغزو إذا ضعفت، فهذا هو قانون البادية القاسي، كأن المبدأ السائر هو سيادة الظلم ، فلا بدّ من أن يظل الإنسان على سلاحه ليردع الغزاة؛[٨] يقول زهير في المعلقة:

ومــن لا يــدافع عــن حوضــه بســلاحه يهــدّم ومــن لا يظلــم النــاس يُظلــمِ[٩]

ولترهيب الأعداء يصل التباهي الجاهلي إلى حدود المبالغات البعيدة أحياناً، يقول عمرو بن كلثوم في المعلقة:

ألا لا يجهلــنَّ أحــد علينــا فنجهــل فــوق جهــل الجــاهلينَ
ملأنــا الــبرّ حــتى ضــاق عنّــا وظهــر البحــر نمــلأه ســفينا[١٠]

كثيراً ما كانت الأمور تنقضي دون إراقة الكثير من الدماء، وربما كفى عرض القوة أحياناً. ورغم ذلك نجد أحياناً حكيماً يحذّر الناس من الحرب؛ لأنهم ذاقوا ويلاتها طويلاً، ومن هذا قول زهير في معلقته:

وما الحرب إلا ما عرفتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجّمِ[١١]

لكن القتل يستدرج الجماعة إلى عادة أخرى، من أقسى العادات القديمة، وهي الثأر، وهو مبادرة رادعة في بادية تنتفي فيها، قبل الإسلام، المؤسسات المدنية للعدالة والاقتصاص. ويترتب الثأر على من قتل نفساً من جماعة أخرى، بل قد يجعل كل فرد من أهله وجماعته هدفًا للثأر. فهذه مسؤولية الدم وتقع خصوصًا على القاتل والأقربين، وهذه الأحوال كانت تفرض التضامن في الأسرة الممتدة والعشيرة، وطرد القاتل لا ينفع كثيراً إلا إذا ارتكب الجريمة في نطاق العشيرة ربما، وقد تنفع الديّة (أي التعويض المالي) أحياناً في مصالحة يدخل فيها من يدخل من أصحاب المكانة والنفوذ فيقدمون دية القتيل أو القتلى، لكن العداوة قد تبقى سنين طويلة، وفي غياب نظام العدالة والدولة تركت هذه العادات آثاراً بالغة في الحياة والسلام في البادية وأطلقت حروباً طويلة مدمّرة.[١٢]

وعلى الرغم من كل ما سلف ترى أن تعلّق البدوي بتلك العادات والقيم يظهر ألواناً من التناقض الملفت التي تكشف كم أن تناقضات الحياة والظروف تؤثر في مفاهيمه وقيمه؛ فهو يفتخر مثلاً بأنه يحفظ حرمة ضيوفه وجيرانه، والنساء خصوصًا، وإن ضحّى. وهذا عنترة يقول:

أغضّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

ويقول غيره في المودة وتكريم الناس واحترام الجيرة:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامة حيث مالا

كما يفتخر السموْءَل بأنه يصون نفسه وعرضه من اللؤم، فأجمل رداء هو رداء الكرامة، يقول:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميلُ

ويفتخر طرفة في معلقته كذلك بأنه ينهض إلى نجدة من يستجير به، ولو خاطر بنفسه:

إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أنني عُنيت فلم أكسل ولم أتبلّدِ

لكن التناقض يبدو شديداً أحياناً عندما تسمع شاعرهم يقول:

إذا ســـــقط الســـــماء بـــــأرض قـــــومٍ رعينـــــاه وإن كـــــانوا غضـــــابا[١٣]

ومع كل ذلك فهو ضنين بالقليل الذي يملكه لكنه كريم في استضافة الضيوف وإن بذل من هذا القليل من أجل حفظ ماء الوجه، وهو يدرك أن ظروف حياته هي التي تفرض قيمة الضيافة والاعتزاز بالكرم، فضلا عن معاني المروءة والنجدة. فلا بد من أن يحتاج كل بدوي في ترحاله إلى الرفد والحماية والضيافة في وقت ما إذا تاه أو فرضت عليه ذلك ظروف الصحراء والتجوال. وقد بقيت هذه العادة الراقية في الوجدان العربي، وعزّزها الإسلام، فالضيف يكرّم، والبخل والتخلّي لؤم وعيب لا يستهان بهما، وهما يناقضان مفاهيم الشرف والمروءة.

واللافت كذلك أنّ الاستجارة قد تكون لقبيلة أو جماعة برمتها، وتعني أن تستنجد قبيلة صغيرة بحماية قبيلة كبيرة وقوية، فتمنحها "حق الجوار" وتحميها وتمنحها الأمان، لقاء مال أو شروط أخرى أحياناً. وهذا وجه آخر من وجوه تُناقض مسألة الغزو.

أما بالنسبة إلى قيم التديّن فالغالب أنها نشأت في المدائن والواحات وكانت أشد تأثيراً في أهلها، وإن كان البدو يعرفون كالبشر جميعاً معتقدات ذات طابع ديني وغيبي. وقد طغت عليهم عبادة بعض الأوثان والأصنام من الحجارة أو قوى الطبيع،. لكنّهم كانوا يملكون فكرة عن الله ليست تماما الفكرة التي حملها الإسلام، وقد عرفوا بعض الطقوس والعبادات وتقديم الأضاحي إلى آلهتهم التي كانوا "يتخذونها زلفى إلى ربهم" وكانت مادة الشرك من وجهة نظر الإسلام، وكانوا يحجّون إلى الكعبة في مكة قبل أن يجعل الإسلام الحجّ إلى الله الواحد الأحد، ولم يكن للمعتقدات الدينية وزن مؤثر في حياة البدوي كما يبدو، فقد كان الواحد منهم يضحّي لآلهته ثم يغضب عليها إذا لم تستجب له، وقد يصنع آلهته من التمر في رحلته، ثم يأكلها إذا جاع، لكنه يرى في لحظات الصفاء التي يستعيد فيها سموّه الإنساني أن الفكر والروح هما جوهر الإنسان، يقول زهير في المعلقة:

لســـــان الفـــــتى نصـــــف ونصـــــف فـــــؤاده فلـــــم يبـــــق الا صـــــورة اللحـــــم والـــــدّمِ

أما المرأة في المجتمع البدوي فقد تمتعت بالرغم من كل شيء بقسط من الإعتبار والحرية، مع أنّ البيئة "ذكورية" وتقرّ مبدأ تعدّد الزوجات. والرجل هو "البعل"، والسيد. لكنها كانت مستقلّة نسبياً ولها حق الإعتراض على زوجها أو هجره إذا لم يحسن معاملتها، وكانت المرأة تقوم بواجبات الأسرة وتشارك في أعباء

الحياة والأعمال جميعًا الى جانب زوجها، كما تفعل المرأة العاملة أو الريفية اليوم. ويذكر التاريخ أنّ النساء كثيراً ما اشتركن في الحملات لدعم أزواجهن ورعاية الجرحى.[١٤]

ثانياً:

وقد أدرك هذه البادية وأهلها وقيمها حدث كبير بعد ظهور الإسلام الذي حمل قوة جديدة وأفكاراً ومبادئ روحية وأخلاقية تُتقبّل حيناً وتُناقض حيناً آخر مبادئ البادية.[١٥]

وقد دعا القرآن إلى الإيمان المطلق بأنّ الله واحد أحد، وهو العلي العظيم مبدع الكون وخالق كل شيء، وأن الآخرة خير من الدنيا، وكل إنسان يُجزى بما فعل كما دعا الناس إلى ترك الوثنية والشرك وكل ما لا ينسجم مع القيم الاعتقادية الجديدة، فالتفاخر والجاهلية والثأر وما إليها من القيم القديمة لم تعد تنسجم مع الدعوة إلى التآخي وبناء الأمة.

وسور القرآن تحمل التعاليم والوصايا بأسلوب يدعو إلى التأمل والتفكير، وهي تبسط للناس معتقداتهم الإلهية في الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج، وتنظّم شؤونهم التشريعية والاجتماعية والسياسية، وكذلك شؤونهم الأسرية في الزواج والطلاق والأبناء. وقد أمر بالتراحم في الأسرة والرفق بالوالدين والأهل وذوي القربى، والرحمة بالمحتاج واليتيم والمسكين وابن السبيل، والوفاء في الدين و أهله؛ فالمؤمنون أخوة، وهو ينظم العلاقات بأهل الأديان الأخرى.[١٦]

وحرّم الإسلام الكثير مما وجد فيه المضرات في عصره كالخمرة والميسر والزنى والثأر والسرقة والربا وخيانة المواثيق، وارتفع بالقيم القديمة كالمروءة والشجاعة والدفاع عن الجماعة والوفاء والكرم إلى مستويات إنسانية جديدة.

وقد صارت الصلاة الجامعة خاصةً التي تُؤدى بالتواضع والخشوع، حالة جسدية وروحية توحّد بين المسلمين، بين أبناء البادية ذوي النفوس المتفاخرة المشبعة بالروح الفردية، إذ غرست فيهم روح المساواة الاجتماعية والشعور بالأخوّة في الإيمان، وصار السلوك بمعناه الأدبي العام يستمدّ قيمه من التقاليد الحسنة، من التشريع الجديد وما يحدّده من الحلال والحرام وما يستوحيه العابد من عبادته في هذه العلاقة الجديدة بين الخالق والمخلوق وصارت الزكاة وأعمال الخير والرفق واجباً،[١٧] وصار النبيّ صلى الله عليه وسلم إذاً مثال القيم المتجدّدة. والصورة التي تحملها كتب التاريخ والأدب عن الرسول في بيته وأسرته ومجتمعه، تظهر أنه بقي زاهداً في شؤون الطعام واللباس، يسكن بيتًا من الطين يشبه منازل الناس ويشارك أهل مكة في حياتهم

العامة، وقد حزّ موت أبنائه في نفسه كثيراً، وتركت أعماله وأحاديثه في الأمور الخطيرة أو العادية أثراً بعيداً في نفوس الناس إذ صار القدوة التي يُقتدى بها.[١٨]

وفي المراحل المتقدمة كانت سيرة الأوائل من الخلفاء والناس تعتمد مثال الرسول والمثل الدينية، فقد ظلوا على شظف العيش في الحياة والطعام والملبس وعلى البر والتقوى والبساطة. وبقيت المُثُل بعد تطوّرها الأساسي تحفظ الحسن من القيم التقليدية المتعارف عليها من مزايا القيادة وحسن السياسة والتبصّر والحزم والدهاء، والحكمة والفصاحة، والبسالة والفروسية والمروءة والعفو والوفاء،[١٩] لكنّ الإسلام نحا بها نحو المقاصد الإلهية السامية.

ثالثاً:

عندما أمنّت روح الدين التحام العناصر وخمود المشاحنات وصاروا قوة فعّالة، بدأوا الفتوحات، على الرغم من مظاهر الصراع الأولى على الخلافة، وكان لهذه الفتوحات أسباب دينية وقومية واقتصادية، فانطلقوا يستفزهم الجهاد ويرغبّهم الفتح، وقد حققوا انتصارات كثيرة وانتشروا في ممالك كانت للفرس والروم، مما سيكون له أبلغ الأثر في نهضتهم، وتوجهاتهم النفسية الاجتماعية.[٢٠]

وقيام امبراطورية العرب المتّسعة، والاستقرار والغنى والتنعّم بعد الفتوحات، قد جعلت الحياة وقيمها تتجّه شيئاً فشيئاً نحو تغيّرات فرضتها المؤثرات الجديدة التي اقتبسوها من الأمم وقد أدركوا فيها الكثير من الثروة والتحضّر ومباهج العيش. ويجب أن يلحظ التاريخ بإعجاب قدرة هؤلاء القوم على التكيّف واستيعاب الأحوال والثقافات الجديدة في بناء مسارهم الحضاري.

وكان في الاستقرار وازدياد الثروة ما يدعو في كل عصر، إلى التبسّط في العيش وطلب الترف، فشيدت الدور الجديدة والقصور، وساد التسامح في المجتمع الديني والمدني، إذ نرى غالباً أن كل نهضة فكرية واقتصادية كبرى تتيح شيئاً من الاعتدال والابتعاد عن الشدة.

وبدأ أولاً انتشار المجالس الأدبية التي تمتزج فيها سير الأقدمين وبطولات الفرسان وقصصهم.[٢١] وحفلت بعض المصادر بأخبار عن تأسيس نوادٍ طريفة للتسلية والثقافة (يؤمها الزائرون، وفيها شطرنجات ونردات ودفاتر فيها من كل علم).[٢٢] وشاعت ألوان من اللهو والغناء والنشاطات التي أحبها العربي منذ القدم –وما زال– كالصيد وسباق الخيل، الذي أقاموا له الحلبات، واللعب بالنرد والكرة والصولجان على ظهور الخيل.[٢٣]

لكن النهضة الجديدة لم تقتصر على التمتع بأسباب العيش، فقد بدأت حركة التعليم، إذ جعل الدينُ التعليمَ كالفرائض.[٢٤] وبدأ تأسيس المدارس وكانت أولاً مراكز تدريس ابتدائية في المساجد تسمى الكتاتيب. ونهضت أولاً العلوم الدينية واللغوية بسبب الحاجة إليها، وتأسست مدارس للشريعة والفقه والحديث. وكانت أولاها في المدينة كما يبدو. وبدأ تصنيف الكتب فيها، في اللغة والتاريخ و"أخبار الماضين". وانطلقت الحركات الفكرية والدينية، ثم تبعتها العلوم الأخرى بعد نضج ترجمتها واقتباسها ودرسها، خصوصاً في العصر العبّاسي.[٢٥]

وأقامت بعض الأسر الميسورة والأمراء من بني أميّة خصوصاً "مدارس خاصة" في قصورهم وأحضروا اليها المؤدّبين لتعليم أولادهم، لكنّ ذلك لم يحرم العامة من التعلّم في الكتاتيب ثم في حلقات المساجد. والكتاتيب تدرّس القراءة والكتابة واللغة والدين والحساب. وقد أوصل التطوّر إلى ازدهار علوم الفقه وعلم الكلام والرياضيات والعلوم الأخرى كالطب والفلك التي تأسست لها مدارس عالية ذات كيان جامعي كان الأوّل من نوعه، كبيت الحكمة في بغداد الذي أسسه المأمون، وقد ازدهرت فيه الترجمات والعلوم الجديدة.

وكان للمرأة نصيب من هذه النهضة العلمية والحضارية. وتتحدث المراجع عن تعليم النساء فتذكر: (أن حظ النساء من التعليم لم يكن مثل حظ الرجال، لكن نساء كثيرات تغلبن على الصعوبات فحصّلن جانبًا من الثقافة، وهناك أسماء لامعة لبعض النساء اللواتي اشتهرن بمكانتهن ومنهن: نفيسة بنت الحسن وكانت من المحدثات في عصرها، وكان يجلس في حلقتها مشاهير من العلماء والمجتهدين،[٢٦] والسيدة سكينة بنت الحسين التي صارت تستشار وتحكم في أمور كثيرة وكانت تعقد في دارها مجالس للأدباء والعلماء وتجالس أجلاّء قريش تحاورهم وتقيم المناظرات[٢٧] وكذلك عائشة بنت طلحة وهي حفيدة أبي بكر رضي الله عنه.[٢٨] والشيخة شهدة التي كانت تلقب بخير النساء، وكانت تدرّس في مسجد بغداد، فيجلس إليها جمهور عظيم وتحاضر في الدين والأدب والبلاغة والشعر.

وقد استمرّت هذه النهضة في المشرق والأندلس، فابن بسّام يقول بعد سنين عن بنت المستكفي مثلاً: (كانت ولاّدة غاية في الأدب والظرف والحسن، وكان مجلسها منتدى لأحرار البلاد).[٢٩] ويفرد المقرّي، في نفح الطيب، فصلاً عن دور المرأة وتطوّر الثقافة الأسرية والإعتبارات الإنسانية، ويسمّي مئات من النساء الشهيرات ويذكر أخبارهن؛ كي يدل على مقام المرأة في الحياة العلمية، وقد أيّدته وقائع التاريخ الأدبي في المشرق والأندلس.

والخلاصة أن حظ المرأة من التعليم والحضور الفكري والديني والاجتماعي كان مؤمَّنا. (ولم يكن ذلك مقصورًا على نساء الطبقة العالية... بل تعدّاها إلى نساء العامة. ولطالما ازدهرت المجالس بمواهبهن

الأدبية وحضورهن وعلمهن...) (ولكن ما كاد يبسط البويهيون نفوذهم... حتّى حدّت حريتها وعُزلت).[٣٠] فالأصالة التراثية ما كانت لتعامل المرأة بالشدة والتديّ.

رابعاً:

ولا يكتمل الكلام على تطور القيم والتقاليد والظروف الاجتماعية الأسرية من غير الالتفات إلى ما يتعلق منها بالذوق والمظاهر والعادات التي رافقت نمو الإمكانات وازدهار الحياة، فقد تطورت مساكن الناس بتطوّر فنون البناء والنقش والجماليات في المباني والمساجد، وشيّدت قصور الأمراء والأغنياء الذين تطلّبوا الفخامة والأناقة وتأثّروا بالهندسة والزخرفة ومظاهر البناء الراقية عند جيرانهم واستعانوا بالمهندسين والصنّاع المهرة من البيزنطيين والمصريين والفرس، وبقيت لنا من هذه الروح ومن ذلك كلّه آثار رائعة.[٣١]

واستُكمل ذلك بتطوّر آخر في نطاق الحياة البيتية خصوصًا في العائلات الميسورة التي تطوّرت عاداتها في الملبس والتأنّق والأزياء الجديدة المصنوعة من الحرير والديباج، وكذلك في وسائل العيش المنزلي في اقتناء النسيج الموشّى والسجاجيد والأثاث والفرش الفاخر، وظلّ الطعام يُقدّم على موائد واطئة يتربّع حولها الناس ويستخدمون الوسائد والطراريح، وكان الطعام يقدّم في أوعية نحاسية منقوشة. لكنّ الأطباق في بيوت الأغنياء صنعت من الفضّة والموائد من الخشب المرصّع بالأبنوس والصدف. وصاروا يستطيبون لذائذ الطعام والحلوى التي اقتبسوها خصوصًا من الفرس ويشربون الماء المبرّد يذاب فيه السكر ويعطّر بماء البنفسج والزهور وعصير التوت، وهم يرتدون لهذه المجالس ثيابها المناسبة ويعطّرون الأجواء بالعنبر أو الند المشتعل، وقد اقتنوا الجواهر وتزينوا بها فكان اللؤلؤ والياقوت والزمرد والماس من مقتنيات الأثرياء والأمراء، أما الطبقات الشعبية والمتوسطة فاكتفت بالفيروز والجذع.[٣٢] وتطورت زينة النساء اللواتي عرفن منذ الجاهلية الكحل والحناء للشعر والأصابع والشفتين والتعطّر بالمسك والعنبر المنقوعين بالماء. وقد تعطّر الرجال كذلك وتكحّلوا أحياناً، وعقدت في قصور الأسر الغنية ومجالس الأمراء خصوصاً، مجالس للطعام والشراب والغناء والشعر، وصارت الموسيقى فنّاً له علمه وآلاته وأصوله المتطورة، واعتبروا أنّ تأثير الموسيقى الراقية يهذّب النّفس ويبعث على المعروف والمكارم.

وشاعت عادات النظافة الشخصية في الأسرة، وأسست الحمامات في البيوت وعلى المستوى العام يرتادها الناس للوضوء وكذلك للنظافة والترف؛ "فالنظافة من الإيمان". وكانت مجهّزة بالماء الساخن والبارد وبغرفٍ مزيّنة بالفسيفساء والزجاج الملوّن. وقد تطورت صورة النموذج العام وخصوصاً الذكوري من القيم، فتحدّثوا عن الرجل الظّريف وآدابه فالظّريف من كان (يتحلّى بالأدب الجمّ والمروءة والظرف، يرغب في

صحبة الإخوان من أهل الصلاح والإيمان يكره الكذب وينفّذ المواعيد ويكتم السرّ ويرتدي اللباس الحسن).[٣٣]

خامساً:

وبعد فالمجال لا يسمح بالتبسط والإفاضة في موضوع تطور القيم التراثية والاجتماعية وأثرها أكثر ممّا فعلنا، وحسبنا أنّنا حاولنا بما نستطيع من الإيجاز، أن نعطي فكرةً معقولةً عمّا نهضت عليه قيم العربي وما تربّى عليه من التقاليد ومستلزمات الإيمان وعناصر التطوّر في أسرته ومجتمعه. ولعلّ صورة النهضة الحضارية الكبرى وما أفضت إليه الظروف الوجودية في ذروة تطورها التاريخي ما زالت ماثلة في حياة الناس وتربيتهم الأسرية[٣٤] متجاوزة الانتكاسات وعصور الانحطاط؛ لأنها ظلت تحمل خلال التاريخ ما استقرت عليه النفوس والعقول والأذواق من قيم تاريخية وقيم دينية سامية راسخة وقيم العلم والحضارة التي صارت جزءاً جوهرياً من وجودهم الإنساني؛ لذا نراهم في عصورهم الحديثة على تواصل بتراثهم الروحي والأدبي والعلمي وأصالة وجودهم في كفاح صعب لا يتوقف. وسنستكمل بحثنا بالنظر، بإيجاز كذلك، في ظروف الأسرة وما تبذله من جهد لتتدبّر أمورها وقيمها وتنهض بشؤونها في مواجهة العولمة وتطورات الحياة المذهلة.

ونبدأ بالقول إن هذه المواجهة أحدثت جملة من التغييرات المهمة التي بدأت تظهر على المجتمع العربي وداخل كل أسرة فيه، وخصوصاً في المجتمعات المدنية التي نالت شيئاً من الثروة والعمران. وهي تغييرات أساسية؛ لأنها تمس أحياناً دور الأسرة وحجمها وقيمها وإمكاناتها، وصار تأثيرها غير مسبوق بالنسبة إلى الإنسانية كلها وليس إلى الأسرة العربية وحدها.

وقد اقتحمت مبتكرات التكنولوجيا في الزمن الحديث كل مجتمع وبيت وأثّرت تأثيراً هائلاً في ميادين العلوم والطب والفيزياء واستغلال الطاقة ووسائل النقل، وصارت الأدوات الإعلامية والإلكترونية –التلفزيون والحاسوب خصوصاً– أشد تأثيراً أحياناً من جهود التربية العائلية في تكوين مفاهيم الأفراد والأولاد وقيمهم وحاجاتهم وعاداتهم السلوكية والجسدية والفكرية والنفسية.[٣٥]

يرى بعض علماء الاجتماع أن من نتائج تلك المؤثرات في الظروف والقيم التقليدية أن كيان الأسرة الكبيرة (الأسرة الممتدة) قد أخذ في التلاشي في المجتمعات العربية، وفي كل مكان.[٣٦] وصارت العائلة الصغيرة (الأسرة النواة) المشتركة، هي التي تميّز مجتمعاتنا، بسبب التطورات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية والاقتصادية المستجدة وظروف العمل والانتقال والتضخّم المدني. لكن الأسرة العربية تبقى مع ذلك أكثر ارتباطًا بالأهل والأسرة الكبرى –الوالدين والأجداد والأقرباء– لاستمرار تأثير القيم الأسرية القديمة والمعطيات

الدينية والعاطفية التي تفرض المودة والتراحم واحترام الأهلين، لكن الرجال والنساء باتوا يتعلّمون ويغادرون المنزل ويعملون ويؤسسون منازل الزوجية بعيداً عن الأسرة الممتدة، وإن كان ذلك لا يعني الانقطاع عنها. وباتت الظروف الثقافية والاقتصادية وحتى الهيئات الحكومية، ذات تأثير في قرارتهم الأسرية، في الصحة والعمل والتعليم والواجبات المدنية جميعاً، وقد ارتفع كذلك سن الزواج بسبب طلب المؤهلات العلمية والثقافية والمادية. وصار التفاهم الفكري والعاطفي والأخلاقي عنصراً شخصياً جوهرياً في الزواج —في المدن خصوصًا– ودخلت غالباً قيم جديدة في الاختيار، كأن تكون المرأة متعلمة عاملة ومنتجة وقادرة على تحمل أعباء الحياة الاقتصادية والأسرية متجاوزة بعض أحوالها القديمة.[٣٧] ولم يكن ذلك بدون ثمن —إيجابي وسلبي– فقد قامت نظريتان (في الغرب والشرق) واحدة تقول إنّ ذلك سيؤثر سلباً في العائلة النواة والنظرية الأخرى تقول إن المرأة الواعية ستكون أكثر قدرة على التكيّف خصوصًا اذا كان الرجل شريكاً طيباً مساعداً متفهماً، فالحياة البيتية ستكون أسعد والأسرة ستكون أقدر على بناء المستقبل.

على كل حال يجب أن نلاحظ بموضوعية أنّ تأثير التطورات يختلف بين مجتمع وآخر ومستوى وآخر؛ فالمرأة التي تنتمي إلى طبقة غنية، لا تقوم غالباً بعمل خارج المنزل وتعتمد على الخدم والتجهيزات الحديثة، أمّا المرأة في الطبقة المتوسطة فتعمل وتتحمّل أعباء الحياة المنزلية وأعباء العمل معاً، والمرأة الريفية كذلك، لكن على نطاقٍ آخر يعتمد فيه المجتمع على إنتاج حاجاته بشكل أكثر جماعية. وقد تعاني المرأة أحياناً عدم المساواة في فرص التعليم أو العمل أو الأجر العادل.

وقد تركت ظروف الحياة المعاصرة أثراً آخر في مستوى الطبقات الاجتماعية؛ فقد نعمت بعض البلاد برخاء اقتصاديّ كبير وانتشرت في العالم الحديث قيادات سياسية كثيرة تنتمي في الأصل إلى طبقة رجال الأعمال، وانطلق المجتمع الاقتصادي المعاصر في دعوة مؤثّرة إلى تغليب اقتصاد السوق الذي يعني، بين أمور أخرى، تحويل المجتمعات والناس نحو حركة استهلاكية كان لها مع ازدياد الثروات أبلغ الأثر في زيادة نسب التضخّم والغلاء وتآكل الأجور؛ فبدأت الطبقة الوسطى تزول ويتّجه أهلها نحو الفقر وبدأت المجتمعات تشعر بالاختلاف بين من يتمتّع بالإمكانات المالية الضخمة ومن له إمكانات محدودة أو فقيرة.

وقد كان الثراء الضخم على امتداد التاريخ العربي والعالمي، يشجّع البحث عن مظاهر الحياة الرغيدة وقد يرافق ذلك أحيانًا التحرّر من المتطلبات المحافظة للإقبال على ظروف وقيم ذات بعد استهلاكي مادي عالمي يوفّر المشاركة في شؤون الدنيا. والطبقات والأسر التي كانت تعاني تجسّمت معاناتها، وصارت هذه الأحوال سبباً نفسياً وفلسفياً لإعادة النظر في ما هي عليه، بعد أن صار المال مقياساً قيمياً مهماً بين المقاييس الأخرى.[٣٨] وقد ابتلي الشرق فوق ذلك بالحروب والنزاعات والأهوال والمآسي والهجرة؛ فترك هذا كلّه تأثيراً

جارحاً في الأسرة العربية في كل مكان، فتخلخل احترام القيم التقليدية واضطرب أو انعدم الشعور بالأمان. وضعفت الإمكانات وهاجر الشباب وذوو الكفاءات.

وقد وقع التأثير بالطبع في حياة الأسر، في المدن والأرياف،[٣٩] وعلى كل فرد، ربّما بأشكال ومستويات مختلفة هنا وهناك:

– فالرجل، رأس الأسرة، باتت سلطته في المدينة تعتمد "التشاور الديموقراطي"؛ لأن المرأة صارت شريكاً مثقّفاً منتجاً عاملاً في المنزل والمجتمع وشريكة حياة في بيت تسود فيه روح التفاهم والمساواة على مستوى التعامل واتخاذ القرار، حتى مع الأولاد، وهذا الرجل يتخصص في عمل يؤمّن له وظيفة ومرتّباً ينفقه على أسرته وهو يدرك غالباً الحاجة إلى دوره ومساعدته في تربية الأولاد وصيانة المنزل وتأمين رفاهيته والتخطيط لمستقبله.

– أمّا الرجل في الأسرة الريفية فهو عموماً صاحب الرأي المهاب الذي تطيعه الزوجة والأولاد في ظل احترام التقاليد السائدة.[٤٠] والمجتمع الريفيّ زراعي إجمالاً، ما خلا المواطن السياحية، وتحكمه اذاً اقتصاديات الزراعة وتربية الحيوانات والعناية بالأرض وهو يحاول تأمين الاكتفاء الذاتي قدر الإمكان في إطار العمل الجماعي للرجال والنساء وأعضاء العائلة الممتدة، ووظائف الرجال والنساء متنوعة هنا، لكنها متكاملة. فالمرأة تحتاج فيها الى مهارات زراعية ومعرفة بتربية الحيوانات والدواجن والخَبز والحياكة وصناعة الأغذية والمؤونة والعناية بالمنزل والأولاد في كلّ شيء، دون أن يتوفّر لها غالباً ما يساعدها من تجهيزات تكنولوجية ممّا تتمتّع به المرأة الحضرية.

– والريفي يعيش إجمالاً في بيئة متّسعة، الأرض فيها ذات أهمية وقدسية أحيانًا، لأنّها موضع حياته مع عائلته بكل معنى الكلمة. أمّا المدني فيعيش إجمالاً في بيوتٍ محدودة الاتساع وأبنية متعددة المساكن ويتنقّل في شوارع مزدحمة، وهذا يذكرنا بأن الامتداد الجغرافي المتسع قد كان في التاريخ العربي –كما هو اليوم– ذا تأثير متشابه في طبائع الناس والحياة الاجتماعية والقيم العائلية.

– أمّا الأطفال فيعتمد الحكم على أحوالهم —هنا– على الظروف الاقتصادية ومستوى التنشئة التربوية والتعليمية والاجتماعية، وهي تتأثّر بالطبع بكل العوامل التي ذكرناها، لكن تربية اليوم لا تخشى إظهار المحبة والتفاهم وتدليل الأولاد واستجابة طلباتهم في إطار الحدود والأصول، والرغبة في تحسين تعليمهم والعناية بهم. وقد خفّ نسبياً التفريق في المعاملة بين الصبيان والبنات،[٤١] وصار لمستويات المدارس ووسائل الترفيه والنوادي الرياضية ووسائل الإعلام أثر واضح على مستويات الأولاد وسلوكهم

وتطورهم. حتى إن الأهل هم الذين يحاولون اليوم أن يطوّروا نظرتهم إلى الحياة والتربية والقيم وظروف الحداثة ليلحقوا بأولادهم.[٤٢]

الخاتمة:

وقد ثقلت الأعباء على الأسرة في المدن والأرياف، في كل مكان في العالم،[٤٣] لكن ظلت الأسر التي تشربت من روح التراث تحاول بجهود طيبة من الآباء والأمهات خصوصاً، أن تبقى حضناً وحصناً لجميع أبنائها، تدفعها المخاطر ووعيها الثقافي والإنساني المتنامي لتفيد من الطاقات المعرفية والإنمائية العالمية التي يمكنها أن توفر لها الكثير من الخبرات العلمية والمساعدات المجدية. وهذا الوعي ذو الأبعاد الإنسانية الشاملة هو خير معين لها على مواجهة التحديات الكبرى ومظاهر العولمة، بسلبياتها وإيجابياتها، لكسر الضرر عنها ومساعدتها على إدراك أهدافها في التنمية والتضامن والأمان، ولتكون العولمة هذه جهداً يثري ويجدّد المجتمعات حضارياً وثقافياً في أطر التمدن واللقاء والمعرفة وروح الأديان والأخلاق والتقاليد الإنسانية الراقية والمبادرات الإيجابية والحرية المسؤولة.

هوامش البحث:

[١] انظر: حمزة، فؤاد، **قلب الجزيرة العربية**، (مصر: د. ط، ١٩٣٣م)؛ ووهبي، حافظ، **جزيرة العرب**، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥م)؛ وزيدان، جرجي، **تاريخ التمدن الإسلامي**، ط١، (القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٢م-١٩٢٤م)؛ وحتّي، فيليب، **تاريخ العرب المطّول**، ط٤، (بيروت: دار الكشاف، ١٩٦٥م)؛ و D, Hogarth, *Arabia*..., N.Y., ١٩٠٤.

[٢] كما في الآية الكريمة ﴿كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ (سورة مريم، الآية٥٥)؛ ﴿وإنه كان في أهله مسرورا﴾ (سورة الانشقاق، الآية١٣). وتذكر (أهل) كذلك بدلالة خاصة في مثل: (أهل الذكر: في سورة الانبياء) و(أهل القرى: في سورتَي يوسف والحشر)- (وأهل التقوى وأهل المغفرة وأهل الكتاب...) وقد وردت "آل" في آيات القرآن الكريم خمسًا وعشرين مرة: (آل إبراهيم وآل عمران).

[٣] انظر: حمزة، فؤاد، **قلب الجزيرة العربية**، ص١٢٣ وما بعدها.

[٤] انظر: حتّي، فيليب، **تاريخ العرب المطّول**، ص٣٣.

[٥] انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **حسن المحاضرة**، (القاهرة: مطبعة الموسوعات، ١٩٢١م)، ج٢، ص٢٣٥؛ والمبّرد، أبو العباس، **الكامل في التاريخ**، ط١، (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٦٦م)، ج١، ص١٩٩.

[٦] الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، **شرح المعلقات السبع**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، ط١، (القاهرة: مكتب النهضة المصرية، ١٩٨٧م)، ص ١٩٥-ص١٩٦.

[٧] انظر: حمزة، فؤاد، **قلب الجزيرة العربية**، ص١٢٣-١٢٧؛ ووهبي، حافظ، **جزيرة العرب**، (القسم الأول).

[٨] وقد يغزون إخوانهم اذا احتاجوا:

وأحيانـــــــا علـــــــى بكـــــــر أخينـــــــا إذا مـــــــا لم نجـــــــد الا أخانـــــــا

[٩] الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد، **شرح المعلقات السبع**، ص٢٤٤.

[١٠] السابق نفسه، ص٣٠٩.

[١١] السابق نفسه، ص٢٣١.

[١٢] لقد بقيت حرب داحس والغبراء أربعين عاماً بين عبس وأختها ذبيان ونتجت أصلاً عن سباق فرسين هما داحس والغبراء. وقد اختلف الشيخان صاحبا الفرسين في من سبق واشتعلت العنهجية وبقيت الحرب أربعين عاماً. وقد حرّم الإسلام هذه العادة المأساوية لكنها بقيت في بعض الأرياف حتى أيامنا هذه.

[١٣] بيت عنترة هو من هائيته في الديوان. وبيت السموءل هو من ديوانه ص٩٠. والبيت: نكرم جارنا... ذكره العسكري في كتاب الصناعتين، ص٤٠٤. والبيت: أذا سقط السماء... هو لمعاوية بن مالك، وقد ذكره لسان العرب في مادة: سما.

[١٤] انظر: حمزة، فؤاد، **قلب الجزيرة العربية**، ص١٢٣-١٢٧؛ ووهبي، حافظ، **جزيرة العرب**، (القسم الأول).

[١٥] انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٧م)؛ وهيكل، حسين، **حياة محمد**، (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٥م)؛ والبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، ط١، (القاهرة: لجنة البيان العربي، ١٩٠١م)؛ والمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط١، (باريس: د.ط، د.ت)؛ و Ameen, Ali*: The Spirit of Islam*, London, ١٩١٠؛ و Thomas, Arnold, *The Legacy of Islam*, London, ١٩٤٩.

[١٦] انظر خصوصًا سورة النساء، وسورة البقرة، وسورة المائدة.

[١٧] انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، ص٩٦٩؛ وحتّي، فيليب، **تاريخ العرب المطّول**، ص١٦٦.

[١٨] انظر: هيكل، حسين، **حياة محمد**، ص١٢.

[١٩] D, Hogarth, *Arabia*..., p ٥٢.

[٢٠] انظر: البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان**، ص١٠٧ وما بعدها؛ وحتّي، فيليب، **تاريخ العرب المطّول**، (الفتوحات).

[٢١] انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، **التاج في أخبار الملوك**، ط١، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٠٤م)، ص١٥١ وما بعدها؛ وأبو الفرج الأصباني، علي بن الحسين، **كتاب الأغاني**، ط١، (القاهرة: بولاق، د.ت)، ج٤، ص٥٢ وج٢١ ص١٩٧؛ وحتّي، فيليب، **تاريخ العرب المطّول**، ص٣٠٦و٣٠٧؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، **مروج الذهب**، ج٤، ص٢٥٤.

[٢٢] الجاحظ، السابق نفسه.

[٢٣] انظر: السابق نفسه.

[٢٤] انظر: طلس، أحمد، **التربية والتعليم في الإسلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٧م)، ص٤٥-٦٧.

[٢٥] وقد تميّزت المذاهب والفرق الكلامية الأولى كما يبدو بمزايا الاعتدال والتسامح والحرية لإطفاء النزاعات والمشاحنات، فقالت إن الناس جميعًا عبيد الله، أفرادًا وزعماء، وإنّ أقربهم اليه أنفعهم لعياله، وإن الله وحده هو الذي يحاسبهم. وصار لأهل العلم مكانة واعتبار كبيران، فابن خلكان يذكر مثلاً أنّ البصرة أقفلت وقامت جميعًا تودّع الحسن البصري وتسير في جنازته. انظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان**، ط١، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)، ج١، ص٢٨.

[٢٦] انظر: المقري، أبو العباس أحمد، **نفح الطيب**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صامد، ١٩٦٨م)، ج٢، ص٥٣٦ وما بعدها؛ و Shalaby, Ahmad, *History of Muslim education* (Beirut: Dar Al Kashaf, ١٩٥٤), p.١٨٨. و Ali*: The Spirit of Islam*, p.٢٢٥.

[٢٧] انظر: أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين، **كتاب الأغاني**، ج١٤، ص١٦٤؛ وابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٣٧٧.

[٢٨] انظر: أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين، **كتاب الأغاني**، ج١٠، ص٦٠، و٥٤.

[٢٩] ابن بسّام، علي بن محمد، **الذخيرة**، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩م-١٩٤٥م)، ج١، ص٣٢٦.

[٣٠] المبّرد، أبو العباس، **الكامل في التاريخ**، ص٣٠٢؛ وحتّي، فيليب، **تاريخ العرب المطّول**، ج٢، ص٤١٠.

[٣١] انظر: زيدان، جرجي، **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج٥، ص٦٠ وما بعدها؛ أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين، **كتاب الأغاني**، ج١٩، ص١٣٤ وما بعدها، وج٥ ص١٠٨ وما بعدها؛ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، (بيروت: دار الفكر، ١٩٥٦م-١٩٥٧م)، ج١، ص١٣٨ وما بعدها؛ الجاحظ، عمرو بن بحر، **تاج أخبار الملوك**، ص٢٣ و٧٢ وما بعدها.

[٣٢] انظر: حتّي، فيليب، **تاريخ العرب المطّول**، ج٢، الحياة الاجتماعية: (ولم تعرف القهوة في المنازل حتى السادس عشر).

[٣٣] حتّي، فيليب، **تاريخ العرب المطّول**، ج٢، الحياة الاجتماعية؛ والوشاء: نفسه.

[٣٤] انظر: صابر، محي الدين، **التغير الحضاري وتنمية المجتمع**، (القاهرة: م. الليان، ١٩٦٢م)؛ والخولي، سناء، **الأسرة في عالم متغّير**، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م)؛ إبراهيم، معوض عوض، **الإسلام والأسرة**، (بيروت: دار النشر للجامعيين، ١٩٦٠م)؛ و Nye, Ivan, Values, Family and Changing Society, in John Edwards (ed .), *The Family and Change*, Alfred. A. Knoph: Publisher, N.Y., ١٩٦٩.، و١٩٦٠ .Rogers, Everett, *Social Change in Rural Society*, N.Y، و Rosser, Colin and Harris Christopher, *The Family and Social Change*, Routledge, N.Y., ١٩٦٩.

[٣٥] S. Hetzle, *Technological Growth and Social Chang*, pp. ٤١-٤٣.

[٣٦] انظر: الخولي، سناء، **الأسرة في عالم متغّير**، ص٢٣.

[٣٧] انظر: السابق نفسه، ص٢٢-٢٥؛ و١٧٣-١٧١.pp.Rogers, Everett, *Social Change in Rural Society*,

[٣٨] انظر: السابق نفسه.

[٣٩] انظر: السابق نفسه، ص٢٠٧-٢٠٩.

[٤٠] انظر: السابق نفسه، ص٢٨؛ أبو زيد، حكمت، **التكيف الاجتماعي في الريف المصري الجديد**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت)، الفصل الأخير. و١٧٢-١٧٠.pp.Rogers, Everett, *Social Change in Rural Society*,

[٤١] انظر: الخولي، السابق نفسه.

[٤٢] انظر: السابق نفسه.

[٤٣] انظر: الخولي، سناء، **الأسرة في عالم متغّير**، ص١١١-١١٦.

المراجع: References:

ʾabū al-Faraj al-āṣbānī, ʿalī Bin al-Ḥusayn, *Kitāb al-ʾaghānī*, ١st edition, (Cairo: Būlāq, no date), Vol.٤.

ʾabū Zaid, Ḥikamat, *al-Takayyuf al-ʾijtimāʿiy fī al-Rīf al-Maṣriy al-Jadīd*, (Cairo: Maktabah al-ʾanjalū al-Miṣriyyah, no date).

Al-Bilādhuriy, ʾaḥmad Bin Yaḥya Bin Jābir, ʾaḥmad, *Futūḥ al-Buldān*, ١st edition, (Cairo : Lajnah al-Bayān al-ʿarabiyy, ١٩٠١)

Al-Jāḥiẓ, ʿamrū Bin Baḥr, al-*Tāj fī ʾakhbār al-Mulūk*, ١st edition, (Cairo : Dār al-Maʿārif, ١٩٠٤).

Al-Khūlī, Sanāʾ, *al-ʾusrah fī ʿālam Mutaghayyir*, (Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah lilkuttāb, ١٩٧٤).

Al-Maqriy, ʾabū al-ʿabbās ʾaḥmad, *Nafḥ al-Ṭīb*, ed. ʾiḥsān ʿabbās, (Beirut: Dār Ṣāmid, ١٩٦٨), Vol.٢.

Al-Masʿūdiy, ʾabū al-Ḥasan ʿalī Bin al-Ḥusain, *Murūj al-Dhahab wa Maʿādin al-Jawhar*, ١st edition, (Paris, No Date).

Al-Mubarrid, ʾabū al-ʿabbās, *al-Kāmil fī al-Tārīkh*, ١st edition, (Cairo: Maṭbaʿah Nahḍah Miṣr, ١٩٦٦), Vol.١.

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ʿabd al-Raḥmān, *Ḥusn al-Muḥāḍarah*, (Cairo: Maṭbaʿah al-Mawsūʿāt, ١٩٢١), Vol.٢.

Al-Zawzani, abū ʿabd Allāh al-Ḥusayn Bin ʾaḥmad, *Sharḥ al-Muʿallaqāt al-Sabʿ*, ed. Muḥammad ʿabd al-Qādir ʾaḥmad, ١st edition, (Cairo: Maktab al-Nahḍah al-Miṣriyyah, ١٩٨٧).

Ameen, Ali*: The Spirit of Islam*, London, ١٩١٠.

Ḥamzah, Fuʾād, *Qalb al-Jazīrah al-ʿarabiyyah*, (Egypt, ١٩٣٣).

Ḥattiyy, Fhilib, *Tārīkh al-ʿarab al-Muṭawwal*, ٤th edition, (Beirut: Dār al-Kashshāf, ١٩٦٥).

Haikal, Ḥusain, *Ḥayāh Muḥammad*, (Cairo: Maktabah al-Nahḍah, ١٩٥٥).

ʾibn ʾabī ʾuṣaybaʿah, Muwaffaq al-Dīn ʾaḥmad Bin al-Qāsim, *ʿuyūn al-ʾanbāʾ fī Ṭabaqāt al-ʾaṭibbāʾ*, (Beirut: Dār al-Fikr, ١٩٥٦-١٩٥٧), Vol.١.

ʾibn Bassām, ʿalī Bin Muḥammad, *al-Dhakhīrah*, (Cairo: Lajnah al-Taʾlīf wa al-Tarjamah wa al-Nashr, ١٩٣٩-١٩٤٥), Vol.١.

ʾibn Hishām, ʾabu Muḥammad ʿabd al-Malik, *al-Sīrah al-Nabawiyyah*, (Cairo: al-Maktabah al-Tijāriyyah al-Kubrā, ١٩٣٧.

ʾibn Khalikān, ʾaḥmad Bin Muḥammad, *Wafiyyāt al-ʿayān*, ١st edition, (Beirut: Dār al-Thaqāfah, no date), Vol.١.

ʾibrāhīm, muʿawwaḍ ʿawaḍ, *al-ʾislām wa al-ʾusrah*, (Beirut: Dār al-Nashr al-Jāmiʿiyyin, ١٩٦٠).

Nye, Ivan, Values, Family and Changing Society, in John Edwards (ed.), *The Family and Change,* Alfred. A. Knoph: Publisher, N.Y., ١٩٦٩.

Rogers, Everett, *Social Change in Rural Society*, N.Y., ١٩٦٠.

Rosser, Colin and Harris Christopher, *The Family and Social Change*, Routledge, N.Y., ١٩٦٩.

S Hetzler: *Technological Growth and Social Change,* Routledge London –N.E., ١٩٨٩.

Ṣābir, Muḥiy al-Dīn, *al-Taghayyur al-Ḥaḍāriy watanmiyyah al-Mujtamaʿ*, (Cairo: m. al-Liyān, ١٩٦٢).

Shalaby, Ahmad, *History of Muslim education,* Beirut: Dar Al Kashaf, ١٩٥٤.

Ṭalas, ʾaḥmad, *al-Tarbiyyah wa al-Taʿlīm fī al-ʾislām*, (Beirut: Dār al-ʿilm lilmalāyīn, ١٩٥٧).

Thomas, Arnold, *The Legacy of Islam*, London, ١٩٤٩.

Wahbiy, Ḥāfiẓ, *Jazīrah al-ʿarab*, (Cairo: Maṭbaʿah Lajnah al-Taʾlīf wa al-Tarjamah wa al-Nashr, ١٩٣٥).

Zaydān, Jurjiy, *Tārīkh al-Tamaddun al-ʾislāmiy*, ١st edition, (Cairo: Dār al-Hilāl, ١٩٢٢-١٩٢٤).